

## الزواج . . .

للاستاذ يحيى هويدى

الزواج رابطة تنشأ بين اثنين وتقوم على ثلاثة أسس لا غناء عنها في فهم ما هية الزواج وتحديد المتضمن منه . وإذا قلنا إن الزواج يقوم على أسس ثلاثة ، فنحن نقصد أنه يقوم على هذه الأسس مجتمعة ، ولا بد من ثلاثها لكي يتفهم الزواج على وجهه الصحيح ، وهذه الأسس الثلاثة هي : أساس فيزيقي ، وأساس نفسي ، وأساس اجتماعي ، ولكل فريق أن يتحسس بمدى هذا المبدأ الخاص ، وإكل أن يذهب في تحسه هذا إلى أبعد الحدود . فلماذا عالم النفس مثلا الناحية النفسية في الزواج ، ويوليها اهتماما خاصا غافلا عن الناحيتين الأخريين ، ولماذا عالم الاجتماع الناحية الاجتماعية فيه ويشتمط في آرائه إلى غير حد حتى يرجع إلى هذه الناحية كل ما يتولى بالزواج ، ولماذا الطبيب بدوره الناحية الفيزيقية من الزواج ضاربا صفحا عن الناحيتين النفسية والاجتماعية فيه ، ليفعل إذن كل ما بدله ، ولكن لا يسع الرجل المعتدل الا أن يوفق بين آرائهم جميعا لظفر من هذا برأى مفيد حول الزواج .

أما الناحية الفيزيقية في الزواج فهي أشهر من الناحيتين الأخرتين ، وهي وحدها التي يعرفها رجل الشارع ولا يتعدى فهمه الضيق للزواج حدودها ، وهي عبارة عن اجتماع الطرفين اجتماعا يحقق النشاط الجنسي ويؤدي الى لذة نوعية خاصة .

على أننا اذا لم نفهم الزواج الا من ناحيته هذه وقفنا بالجانب الحيواني منه ، فسنهوى بالانسان الى الدرك الأسفل ، وسننقد الانسانية أجل صفاتها . فالانسان مخلوق له اتجاهاته الفكرية ويؤله النفسية والاجتماعية الخاصة به ، ولا بد أن نراعي هذا كله عند الحديث عن الزواج ، ولو نظرنا الى الزواج من الناحية النفسية مثلا ، لوجدنا أن فيه تحميقا لرغبات نفسية وغرائز فطرية عند الرجل والمرأة ، فما أعظم اللذة التي يشعر بها الزوج في احتماله المسؤولية الملقاة على عاتقه . وهو وإن تقبلها مرة وسخط على الزواج من أجلها مرات ، فهو سعيد بها على كل حال ، مطمئن اليها وإن طالت شكواه . وما أعظم الثقة التي تملأ جنبات نفسه إذ يعول أسرته ويرضى غريزة الأبوة فيه ، وللأم من جانبها الخاص ميولها واتجاهاتها النسبية التي تتحقق في الزواج ، فهي تشعر باستقرارها في كنف عائلتها ، وتشعر أيضا بأنه كنف لها فترداد بذلك تملأ به وتطيب نفسها بهذا الشعور ، هذا المزيج من الرغبات النفسية التي وجدت ميدانا جديدا لتحقيقها ، وهذا الخليط من الغرائز الفطرية ، كل هذا له عالم خاص به وجانب هام في الزواج .

وإذا تركنا الجانب النفسي في الزواج لكي ننقل الى الجانب الاجتماعي منه ، وجدنا أن لكل مجتمع آرائه الخاصة وتقاليده واتجاهاته فيما يتعلق بهذا الموضوع ، ويتحكم المجتمع

في الزواج منذ اللحظة الأولى : مراسم الزواج ، شروطه ، ما يترتب على الزواج من ميراث وطلاق .. الخ ، هذا فضلا عن أن الزواج يرضى في الإنسان غريزة من أهم غرائزه وهي الغريزة الاجتماعية ، الأمر الذي يقرب بين الناحيتين النفسية والاجتماعية من الزواج بصورة واضحة .

تلك هي النواحي الثلاث التي علينا أن نفهم الزواج على أساسها ، وليس لنا بعد ذلك أن نفاضل بين هذه النواحي ، وليس علينا أن نجعل لهذه الناحية أهمية أكثر من تلك ، فإن العلم لا يعنى بالمفاضلة ، ولا يعنيه الا تقرير الوقائع كما هي دون مفاضلة بينها ، هذا فضلا عن أننا لن نجنى كثيرا أو قليلا اذا انتبهنا الى أن هذه الناحية خير من الأخرى ، أو كان العكس هو الصحيح .

والآن ما الذى يدفع الشاب الى الزواج ؟ ان تفكير الشاب في الزواج قد يتم بين عشية وضحاها ، وقد يقوم على تنفيذ ما عزم عليه دون أبطاء أو امهال ، ماذا يأمل فيه اذن ذلك الشاب الذى طلق حياة العزوبة وارتقى في أحضان الحياة الزوجية ؟ وما الذى ينقصه في حياته الأولى ويفكر في إكمله بالحياة الثانية ؟ وبعبارة أخرى ، أى أساس من أسس الزواج الثلاث التي أشرنا إليها أجدر بالاتفات منا ، وأحق بالتفكير من جانبه ؟ أهى الناحية الفيزيكية بما فيها من إشباع لنشاطه الجنسي ؟ أهى الناحية النفسية بما فيها من تبادل للعواطف بين الطرفين وارضاء لانتجاها نفسية متعددة ؟ أهى الناحية الاجتماعية بما فيها من قيام روابط أسرية كانت ممدومة ؟

من التجنى على الزواج أن نجعل قيمته قاصرة على ناحيته الفيزيكية فحسب ، فقد لا يفكر الشاب عند إقباله على الزواج في ارضاء هذه الناحية اطلاقا ، وقد لا يهتدأ أدنى اهتمام ، ومع ذلك يقبل على الزواج بثبات دون تردد . بل ان حال شبابنا في مجتمعاتنا الحديثة هي نفس هذه الحال ، فان الكثير منهم قد أطاع صوت الشيطان مرات ، وأرضى الدافع الجنسي مرات ، ومع ذلك فهو يقدم على الزواج . وهذا ما يدعوننا الى التفكير في الأساسين الآخرين اللذين يقوم عليهما الزواج . ومن ناحية أخرى فنحن نرى أن بعض الزيجات لا يحقق هذه الناحية الفيزيكية - بعد مضي وقت - لعائق من العوائق ، ومع ذلك فان أحدا لا يستطيع أن ينكر قيام هذه الزيجات بل ونجاحها .

فالشاب اذن لا يقدم على الزواج لتحقيق الغرض الفيزيقي منه فحسب ، ولن تستطيع أن تغفر بشاب له هذا الرأى في الزواج .

الحق أن الشاب الذى يقدم على الزواج لابد أن يكون مقتنعا بقيمته من الناحية النفسية والاجتماعية ، انه يود شريكة له في الحياة ، تبادلها العاطفة وتخصص اليه التجوى وتسمح في جنباته الهدوء والطمأنينة ، انه يود زوجة يفزع اليها عند غضبه وبأسه ، قد يهدد من

دار نفسه المثبة وترد عليه أمنه وأمله ، ثم بعد هذا كله أليس هو بكائن اجتماعي ؟ انه صغير من الحياة التي عاش فيها نفسه سنوات ، أعنى حياة العزوبة ، وهو يتطاع الآن الى حياة أجدى عليه وعلى أمته ووطنه من عزله التي احتملها كارها أوعواما وأعواما . انه يقصد الى حياة اجتماعية حقة ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

انه أقبل اذن على هذه الحياة الجديدة لما وجد فيها من وسيلة لتحقيق غرائزه النفسية وميوله الاجتماعية ونشاطه الجنسي ، وكل هذا يجتمع ومتداخل ومتشابك معا ، وليس الزواج بعد ذلك قاصرا على الناحية الجنسية فيه ، بل ان الناحيتين النفسية والاجتماعية أحق بالنظر وأولى بالاعتبار من هذه الناحية .

قال الله تعالى « هو الذي خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . فهذه الآية الكريمة تشير الى الناحيتين الاجتماعيتين والنفسية في الزواج ، فقد خلق الله لنا زوجات لتسكن اليها ، نحن معشر الرجال ، وانحيا معين حياة اجتماعية ، ولتعاشرهن معاشرة تطلق فيها حياة العزوبة ، ونشقق فيها غريزتنا الجمعية ، ثم أشارت الآية بعد ذلك الى الناحية الجنسية في الزواج ، فالزواج وسيلة لقيام المودة والرحمة بين الزوجين ، وفيه ارضاء لميول نفسية متعددة وتفهم للشارب والأذواق بين الاثنين .

### نظرة الى تقاليدنا !

وإذا كان الزواج ليس ميدانا لإشباع الميول الجنسية فحسب ، بل فيه تحقيق لميول نفسية واجتماعية الى جانب ذلك ، فلا بد أن ترتب على هذا نتيجة طبيعية ، فلو نظرنا نظرة عابرة الى تقاليدنا المصرية ، وجدنا أن الوالد كان وما يزال ، يحرص على إخفاء ابنته عن طالب يدها حتى يصبح أمر زواجهما ثابتا مؤكدا ، أجل ! ان عددا وافرا من الآباء قد تحلل من هذا التقليد ورمى به وراء ظهره ، ولكن ما زال البعض منهم يحترمه ويرى أن الخير كل الخير ألا يرى "الخطيب" ابنته الا في وقت متأخر ، فالى هؤلاء الآباء المحافظين ، والى الآباء الذين تحلوا من هذا التقليد دون أن يفهموا الحكمة من وراء ذلك أوجه الحديث فأقول :

أجمعت الشرائع على أن الزواج ليس رابطة جنسية فحسب ، بل ان شريعة ما من الشرائع لم تذكر هذا التعريف للزواج اطلاقا . وقد فصلنا هذا سابقا وقلنا ان الزواج له ناحية نفسية وأخرى اجتماعية جديران بالاعتبار الى جانب ناحيته الطبيعية ، فاذا جئنا بعد هذا وقلنا بضرورة التمسك بهذا التقليد القائل بالارى الشاب نمريكة حياته الا في يوم الزواج مثلا ، فمعنى هذا أننا ننظر الى الزوجة نظرة لا تلبق بها ، وأقولها مقولة دنيا ،

وقصرنا علاقتها مع زوجها على الناحية الجنسية ، وفي هذا منافاة كما سبق أن قلنا للخرض الصحيح من الزواج . وتفصيل ذلك أنه لو كان هذا الأب قد نظر الى الزواج هذه النظرة التي نظرناها نحن ، ما كان يفكر مطامنا في أن يحتفظ بهذا التقليد الذي لا مبرر له ، ولو كان قد وقف على ناحيتي الزواج الجنسية والاجتماعية ما كان نظر الى ابنته وزوجها هذه النظرة الضيقة ، ولما اعتبر أن الزواج وسيلة لتحقيق النشاط الجنسي عند الاثنيين فحسب ، ولو كان قد نظر الى كل منهما على أنهما كائنان لما ميولها الجنسية والاجتماعية ، فوق ميولها الجنسية ، لأتاح لها فرصة الاجتماع لتبادل الآراء ولتقف كل على مشارب الآخر وأذرافه وميوله . ان الزواج القائم على أسس نفسية صحيحة كما قال "أكستر" هو خاتمة المطاف بين اثنين ؛ وليس من الضروري أن يبدأ في يوم الزواج .

- والثورة على هذا التقليد العتيق لها نتائج طيبة ، فنجن نعلم أن كل عمل لا بد أن يسبق بمقدمات ، وكل مشروع لا بد أن يهيأ له الجود الصالح قبل تنفيذه . أليس الزواج بدوره — باعتباره مشروعا لحياة مستقبلية طويلة — أجدر بهذه المقدمات وأولى بهذه التهيئة ؟

فمن تلك المقدمات التي لا بد أن تسبق الزواج ، أن ترفع الكلفة بين الزوجين حتى يكون لهما من الحرارة ما تسمح لهما بالتوجه بصحبة ذويهما مثلا — الى الطبيب للكشف عليهما طبييا . وهذا ما يسمونه بالاختبار الطبي السابق للزواج .

وذلك نوع آخر من التهيئة للزواج أكثر أهمية من الأولى ، وهذه التهيئة تهيئة نفسية في حين أن التهيئة الأولى تهيئة فيزيقية . فملى كل من الزوجين ، وعلى الزوج بصفة خاصة أن يقوم بتعريف عواطف الزوجة واتجاهاتها الفكرية والعاطفية . وليس بكاف أن يقتصر الأمر على المعرفة بل يجب أن يتحقق بين الاثنيين انسجام تام في المشارب والأذواق لكي تتحقق السعادة في الحياة الزوجية المقبلة . ولن يتيسر هذا كله إلا إذا قضينا على هذا التقليد الذي أشرنا اليه .

وبعد ، فهذه ملاحظات عابرة عن الزواج قصدت من ورائها إلى شيئين :  
( أولا ) إلى بيان قيمة الزواج من ناحيته النفسية والاجتماعية لكي نفرق بذلك بين الحرارة الحيوانية في النشاط الجنسي للحيوان وبين الزواج بما فيه من نواح نفسية واجتماعية متعددة .

( ثانيا ) ومن ناحية أخرى ، فقد قصدت إلى إبداء ملاحظاتي الشخصية عن تقاليدنا المصرية في هذا الصدد وما يعنور هذه التقاليد من نقص وفساد .

يحيى حويدي  
المدرس بأسوان الثانوية